لغة أدباء الشباب

كنت أعلم في بادىء الامر ان ظاهرة المغالاة طابع وقتي لشخصية الشباب ، وأن اللهفة الشديدة على الشهرة تدفع بالمرء الارعن إلى ركوب كل مركب فكنت أتحمل الاعذار المبررة . وكنت أعلم أيضاً أن حب ذيوع الصيت عند انسان عزيز النفس ، لا بد أن يحفزه إلى الكد والاجتهاد في تحصيل العلم ، لكي يقرن الشهرة الطيبة التي يشتهيها بالانتاج الفكري الناضج ، وقد تم ذلك لأفراد قلائل من الشبان

وكنت أقدر لشباب المدرسة الحديثة خطوات واسعة في ميادين الادب والفن ، تبز جهود أدباء الشيوخ الحالية وتفوق كل ما أنتجه الشيوخ ، في شبابهم في الكمية والكيفية ، وسوف يتيسر ذلك للمثابرين المجتهدين

وقد تبينت ظاهرة جديدة عند أدباء الشباب لا تسمو إلى حدود الخطورة ، ولا تنحط إلى فهاهة المغالاة ، ولكنها طابع وقتي ثان لهم ، زوالها مقرون بتعلمهم قواعد اللغة وأدب العرب والتاريخ القديم والحديث لأنها أسس لا محيص للاديب عنها مهما ورد من مناهل الآداب الغربية وتثقف بثقافة الغربيين

أقمت الدليل تلو الدليل على ظاهرة المغالاة ، وها أنا أقرع الظاهرة الجديدة بحجة اقتبسها من مقدمة كتبها « شيخ يتصابى » لديوان « الالحان الضائعه » نحا بها نحواً جديداً في الاستهتار بقواعد العروض ، والاستهانة بعلماء اللغة الاخصائيين ، والدعوة الصريحة إلى عدم الأخذ بأقوال النقاد ونصائح الناصحين والى اتباع طوية النفس فيما اكتسبه المرء من اللغة بالسماع والمران !!

لو كان صوت هذا المخلوق هو الداوي وحده في جماعة الناشئين لأغفلنا شأنه ولم نلتفت الى همجمته ، ولكن أصواتا عدة تتحشرج بها حلوق أدباء الشباب منادية بفساد اللغة العربية ، وضلال قواعدها ، وخلوها من المرونة لتساير بها المصطلحات العصرية ، وعدم صلاحها للتعبير عن رغبات النفس ! ! وانه لولا القرآن لكانت الآن في عداد اللغات المندثرة ، وأن من الخير تبسيطها وإصلاحها ، وان لا وسيلة لهذا التبسيط الا باستبدال حروفها المعقربة بحروف لاتينية ليتيسر للقاريء قراءة الكلمة صحيحة بدون لحن ، او إهمال آخر الكلمة من حركات الضم والفتح والكسر ، وجعل السكون لازما لكل كلمة ، أو إدخال بعض التحسين على اللهجة العامية تكون أسهل وأسلس من الفصحى ! وأن ، وأن الى آخر هذه الأفات التي لا تدل إلا على شيء واحد هو جهل اللغة ! !

ليس جهل أدباء الشباب بقواعد اللغة العربية وآدابها هو المحزن وحده ، انما الذي يحزن ويؤلم حقاً ، مفاضلتهم بين اديب غربي حسن الديباجة ، قوي الجملة ، متين التركيب ، منسجم الوحدة ، ضليع في اللغة وغني في التعابير ، وأديب غربي آخر أقل مكانة منه ، أو ثالث نقيض الاثنين . وهل الفرق بين الاول والثالث سوى أن الواحد يملك أعنة اللغة فيطوعها وفق رغباته وبدواته وابتكاره واختراعه ، وأن الآخر يتسكع فيها تسكع الاعمى في الغابات ومتعرجات الطرق ؟ وهل يواتيك الظن فتتوهم أن في استطاعة الجاهل لقواعد اللغة افراغ نظراته ، مهما كانت وضاءة لامعة ، في قوالب مقبولة وعبارات مستساغة يتلقفها الذهن فيدخرها مع ما يدخر من غوالي الفكر والكلم ؟

حقاً لا أدري معنى لمفاضلتهم وموازنتهم بين أديب غربي بليغ ، وأديب ثان فصيح وثالث غربي لا هو بليغ ولا فصيح فينبذون الاخيرين ويتعلقون بذيول الأول ، ولا يوازنون ويفاضلون ويميزون بين أدبهم هم المضعضع المهلهل المحطم ، وأدب أكثر الشيوخ الذي لا يقل في صياغته ومتانته وسلاسته عن كتابة فحول الأدب أمثال الجاحظ وابن المقفع وسواهما ؟ لم يكبرون أدب الاديب الغربي الناضج ولا يحتقرون آدابهم المبتسرة الفجة؟ وعندي أن الفكرة العبقرية تفقد أكثر جواهرها إذا صيغت

بعبارات مهلهلة ، وجمل مقعرة ، ولغة سقيمة ركيكة كما يفعل جل أدباء الشباب

ولعلي بالغ من اقناع الشباب اذا أنهضت لهم حججاً مستمدة من أدباء غربيين تدل على أن استقامة اللغة هي الأصل في خصائص الأديب فأناتول فرانس يقول « لا يقول الكاتب قولا سديداً إلا بنحو متين ولغة صحيحة » ويقول « بوالو » « أعلى الكتاب كعباً اذا حرم الرسوخ في اللغة فليس بكاتب » فهل من حرج علينا بعدذلك اذا أسقطنا تجني الشبان على لغة العرب وقواعدها من قائمة أدعاءاتهم الهزيلة ؟

***

أعود الآن الى صاحب ديوان « الالحان الضائعة » والى صاحب الظاهرتين ، ظاهرة الاسراف في المغالاة وظاهرة الدعوة الى الاستهانة بالعروض ـ أعود الى كاتب مقدمة الديوان لاقتبس نتفة من مقدمته « الشائكة » ولاوضح لك البواعث التي حفزته إلى كتابتها نكاية باللغة قال « فلان،شاعر مبتدع بعيد الخيال ، رومانطيقي النزعة غالباً ، رمزي احيانا ، بعيد في طوره الحاضر عن المثل القديمة ، لغته لغة الشعر الجريء (كذا) فكل الفاظه أشعة وظلال وأنغام وأصداء ، وعطر وشذى وأشباح وأطياف ونحوها » هذا نمط جديد في التطريب والتصبي والتشويق

وقل « ليست لغة التنسيق الصناعي الذي لا يخرج عن حدود الموسيقى اللفظية التي لا تمت بصلة الى المعاني ، وشتان بين المعاني التي تتأثر بالالفاظ وبين الموسيقى اللفظية التي تكاد تعرفها المعاني » (كذا) ثم قال « فليذهب شعراء الرنين وليتناظروا منهم في استبدال لفظة بأخرى، وفي أصوب المذاهب النحوية أما هذا الشعر الوجداني الرائع فليعتبروا أن وراء الفاظه دوافع نفسية في الاختيار والتنسيق والموسيقى لا دوافع صناعية تدعوالى تبديل بعد تبديل وتحوير وتقديم وتأخير »

أعرفت معنى هذا الكلام الغامض والابهام البسيط المدغم بابهام مركب ؟ معناه : انه شجر خلاف عروضي في بحور الشعر بين الدكتور بشر فارس والشاعر الأديب حسن كامل الصيرفي ناظم « ديوان الالحان الضائعة »

أفضى الأول برأيه وأقام البينة على خصمه . وتعنت الثاني ونفى الوصمة العروضية عن شعره .

طالت المناظرة بين المتناظرين فاحتكما الى مجلة المقتطف فأفتت عقب عرض الخلاف على أساتذة اخصائيين « بان الابيات التي أوردها بشر فارس من شعر مناظره ، الثلاثه الأول صدورها من المديد وأعجازها من الخفيف والبيت الرابع مستقيم والخامس والسادس لا يستقيمان والسابع مستقيم على ضعف أما ما بقي منها الى

السادس عشر فخطأ اما البيتان الثاني عشر والرابع عشر فهما مستقيمان»

أوقفت الآن على حلول الالغاز ؟ أعرفت لماذا غضب كاتب مقدمة ديوان « الالحان الضائعة » غضبة « أمامية » (١) لا مضرية فراح يهيب بشاعره ان أمض أيها الناظم وفق سجية نفسك وطوية الهامك غير حافل بالاوزان والعروض والقواعد والالفاظ ولا آبه باحكام مجلة المقتطف وقضاتها النزهاء ! ! ؟ الجواب لانه كتب مقدمة لديوان الصيرفي ولا يجوز أن يكون لشعر الصيرفي سابقة حكم من مجلة رصينة محترمة كالمقتطف فقال هذا اللغو من الكلام الفصل الباهت نكاية بالمقتطف ونكاية بالدكتور بشر فارس ونكاية بقواعد اللغة أيضا .

لا تنس أن كاتب مقدمة ديوان « الالحان الضائعة » هو من الزمرة المتمردة على قواعد اللغة العربية وآدابها وتاريخها لانها اللغة العربية ، ولأن أدباء الشباب يقولون باصلاحها وتبسيطها والغاء قواعدها واستبدال حروفها ، ولان المدرسة الحديثة تعتبر المعاني ولا تعتبر إلا المعاني ، وأخيرا لان كاتب المقدمة من زمرة جهلاء اللغة العربية التي بها يتحدثون ويكتبون والتي بها يذيعون رسالتهم في الناس .

---

(١) نسبة إلى جريدة الامام التي يصدرها الدكتور أحمد زكي أبو شادي صاحب مجلة أبولو وكاتب مقدمة ديوان الالحان الضائعة

ألا ترى أيها القاريء في ظاهرة جهل اللغة ما هو أنكى وأدهى من ظاهرة الاسراف والمغالاة ؟

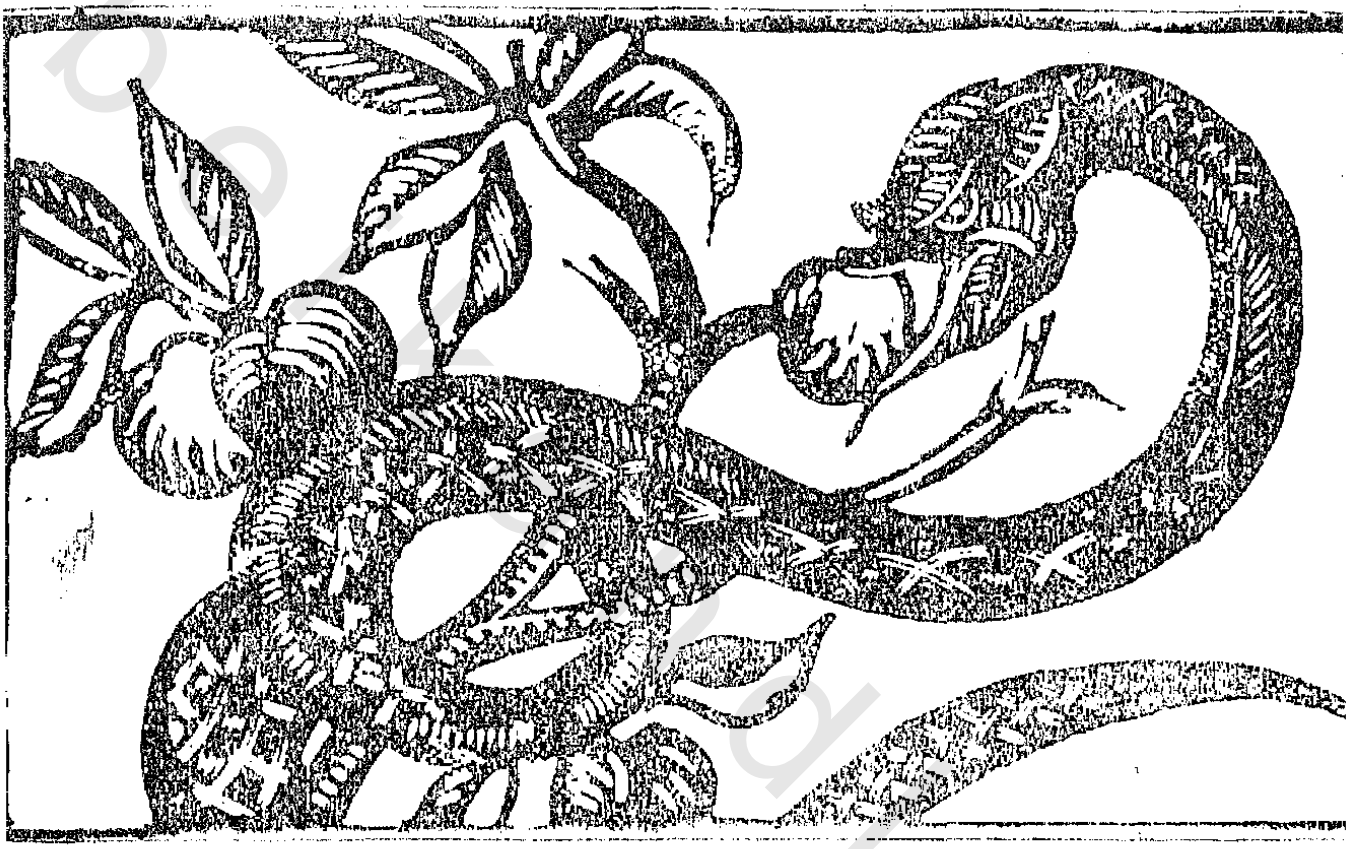

(تعبان الادباء و نافث سموم الشر فيهم)

أكتفي الآن بيسير ما كتبت في هذا الموضوع رغم ما عندي من كثير يدعوني الى إطالة الكلام في أدباء الشباب الغلاة رغبة في الانتقال الى دراسة أدباء الشيوخ

وحري بي قبل ذلك أن أنوه أولا بسعة الذهن والصدر عند طائفة من هؤلاء الشبان المهذبين ، واعترافهم بما آخذتهم به ولمتهم عليه ، وان أذكر تضجر البعض وتبرمهم بصراحتي وعتبهم عليّ لأني وأنا واحد منهم ، لم ارع صلة الشباب وواجبات الصداقة

لايخامرني شك في ان موقف الشبان هذا (سواء من ظهر منهم بسعة الذهن والصدر ، والتململ والتبرم) يدل دلالة واضحة على مزاياهم الحميدة ، والسجايا العالية ، والتحرير الفكري ، وغير ذلك من الصفات التي اكتسبوها من روح الأدب الصحيح ومن الثقافة الناضجة

وخليق بي ايضا ان أذكر بالاسف الشديد فئة ضئيلة من هؤلاء الشبان ، أرهفت ألسنة السباب والشتم علي حاسبة انها السلاح الماضي للظفر والحجة الدامغة للفوز ، فما أحرى هذه الشرذمة بأن تعرف انها ما انفكت بحاجة قصوى ، وعوز ضروري الى أوليات الأدب ومبادئه لانها لم تتطهر بعد ولم تنق نفوسها من أدران ورثتها عمن سبقها من ضيقي الفكر أو تلفحت بها من دعاة الغرور

***

يحلو لي أن اعرض لمسألة طالما لاكتها الألسنة وهي مسألة « التطفل على الادب» فما هو التطفل ياترى ، ومن هو الطفيلي ؟ بل من هو الاديب الذي لا يحق لسواه الجلوس على أريكة الادب ؟ وهل الادب حرفة موقوفة على طائفة محدودة من الناس ، أو مرتبة خاصة من الشعب ، أو هو كالحياة مشاع بين الخلائق كلها ؟

أعرف ان الادب صورة صادقة للحياة ، وانه كما يكون الادب تكون الحياة ، فهل الادب والحياة موقوفان على محترفي

صناعة الكتابة فقط ومحرمان على من لايحترف صناعة الكتابة بعينها ؟ هل تذوق الحياة وتعشق جمالها، ومحاولة استشفاف الغاية من وجودها ، والانتعال من صورها المتعددة وبسائطها المتلونة رموزاً للاندماج الروحي بها ، خاصة من خصائص الكتاب المحترفين . ضنت الطبيعة بها وحرمت هبتها على الكتاب غير المحترفين ؟هل حرفة الانسان أو فنه أوصناعته التي يتوسل بها الى كسب رزقه ، يجب ان تحول بينه وبين الادب وتباعد به عن الحياة أو تدنيه منها ؟ وهل مفروض في الانسان ان يضيق الدائرة على نفسه حتى لا يطل على الحياة الا من ثقب الكوة التي يتسرب رزقه من ناحيتها ؟

اذا أخذنا بنظرية «الصاوي وابي‌شادي وجودت» وهم الذين أنكروا علي تصديّ للبحوث الادبية والنقد الادبي ، بحجة اني موظف تجاري، وقلنا للطبيب ان التزم ايها الطبيب مرضاك ، وللمهندس ان يلزم بركاره وأمتاره ، وللقاضي قوانينه وتطبيقات موادها ، وحظرنا عليهم مزاولة الادب ومعالجة فنونه ، ألا نكون قد طمسنا بايدينا صوراً للحياة كان في استطاعة الطبيب والمهندس والقاضي اظهارها واضحة جلية لغير الذين لم تمنحهم الطبيعه قدرة استجلاء بدائع الحياة عن طريق الادب ؟

هب قال قائل سخيف للقاضي قاسم أمين، وللموظفين اسمعيل

صبري وأحمد شوقي وحافظ ابراهيم ، التزموا أيها الرجال حدود وظائفكم الحكومية ولا تتخطوها الى الحياة عن طريق الادب ، لأن الادب غير وارد في برنامج أعمال الوظيفة والموظفين ، فكم كانت خسارة الادب العربي فادحة هائلة بتنحية هؤلاء الموظفين عن الادب ؟

ثم أعرف الدكتور أبا شادي موظفا حكومياً الى اليوم وصالح جودت طالباً يدرس التجارة ليكون موظفاً تجاريا مثلي ، الا يجدر بنا أن نرد اليهما ماقالاه عن تطفل الموظف على موائد الادب ؟

معاذ الله أن نركب هذا الشطط

كان الشاعر السوري الذائع الصيت إيليا أبو ماضي يبيع السجاير في الاسكندرية ، وكان الاديب البلغاري بناييت استراتي يبيع الليموناده في شوارع القاهرة ونعرف أدباء كباراً في مصر يعيشون عيشة بوهيمية أو يعيشون كما يقول العرب « كالرماح مرفوعين على أكتاف الاجاويد » فهل نقصت قيمة أبي ماضي الشاعرية لانه باع السجاير وهو يحترف البقالة اليوم ؟ وهل انحط قدر بناييت استراتي الذي يعرفه الادب الفرنسوي كما يعرف الاعلام البارزين من اقحاح الفرنسويين لانه باع الليموناده في شوارع القاهرة ؟ وهل وضعت مراتب البوهيميين الادباء في

مصر لانهم يعيشون من جيوب الخيّرين ؟ اللهم كلا وألف كلا

هب جدلا ان صالح جودت واحمد الصاوي محمد ، وأحمد زكي أبا شادي في طليعة المؤلفين ومقدمة الناشرين ، وان عدد مؤلفاتهم بين شعر ونثر فاق عدد الميكروبات في جوف المحموم ، وان مواد كتبهم ما برحت هي هي في الانحطاط والجمود والخمود فهل تبلغهم مؤلفاتهم المرتبة السامية والمكانة المبجلة والاحترام والاعتبار التي بلغها بائع السجاير البقال وبائع الليموناده والمتشرد البوهيمي ؟

اللهم كلا والف ألف كلا

يمكنني أن أحصي عشرات من ادبائنا البارزين والمغمورين ، كلهم موظف مثلي يكسب رزقه عن طريق الوظيفة ، فاذا أخرسنا هذه الحناجر المغردة للحياة أناشيد الادب فمن الذي يغنيها الاغاني الحارة الصادقة؟ الكاتب المحترف وقد تحجرت أحاسيسه ، وضاع شعوره ، وتبخر ذوقه وارتمى كالجثة الهامدة تحت أعباء السرعة ، وطلب الآلة ، وعمل الساعة ، أم الموظف المرفه وقد لبي نداء وجدانه ، وهاتف انسانيته ، فغنى للحياة أنشودة الادب هادئة كالليل ، صادقة كالوجود ، جميلة كالمرأة ، حلوة كالدموع ، عذبة كالشفاه ؟ ! !

أنا ياصديقي القارىء موظف بسيط في أكبر متجر في

القاهرة ، رأس مالي عند رب عملي اجتهادي وأماتي ، وصلتي بزبائني قائمة على الثقة ، بهاتين الصفتين ارتبط وبهما أحيا عند صاحب العمل وعند الزبائن

لقد اكسبتني وظيفتي الصلة بجميع طبقات الناس ، وتغذت سجية الصدق عندي بغذاء الثقة التي أتبادلها والناس ، فصارت الحياة تتعذر علي بدون الصدق وها أنا أتخطى وظيفتي واتجاوز حدودها الى الحياة الكبرى سالكا سبل الادب ، متوكئا على الصدق ، فهل تنحط قيمتي كانسان يكتب في الادب اذا قال الصاوي عني اني ناقد أدبي وبائع خردوات ؟ أو قال أبوشادي وجودت ان أدبي أدب منفاتورة ؟

لايكفيني أن اقول للصاوي واخويه « انظروا الى ماقيل وليس الى من قال » لان العبرة في القول نفسه ، بالشرارات التي تتطاير من النفس ، بالاشعة التي تنبعث من نفحة الروح الالهي فتستقر في الانسان الموهوب ، بالصدق الذي يجري على سن القلم ليصور للقاريء رسالة الانسان لاخيه الانسان باخلاص وأمانة ، بالبراعة في رسم بدائع الحياة وبالاناشيد الالهية موقعة على قيثارة الاديب المفطور على الادب

سيان عندي ان كان هوميروس جوالة ينشد قصائده الخالدات في الشوارع على مسمع الدهماء والخاصة من اهالي

« كومة » او كان سريا من سراة القوم كفاه الغنى ذل الفقر والاستجداء ، او كان يكسب رزقه عن طريق التوظف والاستخدام ، ان ذلك لا يعنيني البتة بقدر ما يعنيني روحه الوضاء وعبقريته اللامعة ، ونفسه التي ما برحت تنير العالم باسره بأنوار بهجة من شعره الخالد ، اما كيف كان يعيش هوميروس أفي كفاف او نعمة وكيف كان يرتزق أعن طريق الاستخدام أو عن طريق استجداء فهذا آخر ما يفكر فيه الاديب الاصيل. بل هو آخر ما يخطر لمن يقرأ الالياذة الخالدة على الدهور ، وقد لا يفكر في ذلك ولا يخطر نوع وكيفية كسب رزقه الا للسخفاء الذين ينظرون إلى الظواهر التافهة لانه لا إدراك لهم ولا وعي يستعينان بهما على الغوص إلى الاعماق ، فالعبرة اذن بالحقيقة الصادقة التي يمليها روح الانسان العلي فيرسمها القلم ولا فارق عندها فيما إذا كان ذلك القلم في يد صعلوك او امير او موظف أو تاجر

لا يسعني وأنا اختتم هذا الفصل الا ابداء الأعجاب والتقدير والتوجع والتألم . اعجابا وتقديراً لطائفة متوافرة من ادباء الشباب دلت على أنها تقدر النقد الادبي الصادق وتباعد التحزب والتشيع والاعتبارات الشخصية ، وتوجعاً وتألما لطائفة ضئيلة من هؤلاء الشباب مازالت مريضة سقيمة ليس في وسعي إلا أن أتمنى لها البرء والعافية . راجياً أن ألقى من أدباء الشيوخ ما لقيت من نبالة الكثيرين من ادباء الشباب .